دافيد بن غوريون

رسالة إلى عاموس [ابنه]

لندن، ١٩٣٧/١٠/٥

عزيزي عاموس،

لم أغضب عليك، ولكني أسفت جدا لعدم تسلمي أي رد منك.

لا أستطيع قبول عذرك بأن ليس لديك وقت. أعلم أن لديك الكثير من العمل في المدرسة، وفي الحقل وفي المنزل، كما أني سعيد بانشغالك في دراستك. لكن من الممكن دائما العثور على قليل من الوقت إذا ما لزم الأمر، ليس فقط في أيام السبت بل في سائر أيام الأسبوع أيضا.

كما أن ادعاءك بأني كثير الحركة والتنقل من بلد إلى آخر، ليس مقنعا. يمكنك مراسلتي في لندن، فهنا يعرفون دائما مكاني ويحضرون البريد إليّ دون أي مشاكل.

في حال قابلتك في تل أبيب، عند عودتي، فسوف أشرح لك مسألة عضويتي في اللجنة التنفيذية.[١] أما هنا فأريد فقط أن أوضح لك التضارب بين تفكيرك وبين أحاسيسك فيما يتعلق بقضية الدولة. إن الأمور السياسية لا تخضع للأحاسيس. علينا فقط أن نـأخذ بعين الاعتبار: ما نرغب فيه وما هو جيد لنا، والطريق المؤدية إلى الهدف والسياسات التي من شأنها أن تنجحنا أو أن تفشلنا.

أعتقد أنني أملك «أحاسيس» أيضا – فبدون هذه الأحاسيس لم أكن لأستطيع تحمل عقود من عملنا الشاق. كما أني لا أشعر إطلاقا بالإهانة بإقامة دولة يهودية حتى وإن كانت صغيرة. أنا بالتأكيد لا أرغب في تقسيم الأرض. ولكن هذه الأرض التي تقسم ليست في حوزتنا بالفعل. إنها في حوزة العرب والانكليز. ونحن نملك منها جزءا صغيرا فقط، أصغر من الجزء المقترح لإقامة دولة يهودية عليه.[٢] لو كنت عربيا لشعرت بإهانة كبيرة. في اقتراح التقسيم هذا سوف نحصل على أكثر مما نملك – علما أنه أقل، وأقل بكثير، مما نستحقه ومما نريده. إلا أن السؤال المطروح هو: هل سنحصل بطريقة أخرى غير اقتراح التقسيم على أكثر من هذا؟ وإذا ما بقيت الأمور كما هي عليه الآن، فهل هذا من شأنه أن يرضي «مشاعرنا»؟ نحن لا نريد لهذه الأرض أن تبقى كاملة

وموحدة، بل نريدها أن تكون أرضا يهودية كاملة وموحدة. فأنا لا أشعر بأي رضى عندما تكون أرض إسرائيل كاملة ولكن عربية.

بالنسبة لنا فإن الوضع الراهن عبارة عن سم قاتل، ونحن نريد تغيير الوضع القائم. كيف لهذا التغيير أن يتم؟ كيف لهذه الأرض أن تصبح لنا؟

والسؤال المصيري هو: هل إقامة الدولة اليهودية تساعد أم تعطل تحويل هذه الأرض إلى يهودية؟

أنا متحمس جدا لإقامة الدولة– حتى وإن كانت تلزمنا الآن الموافقة على التقسيم – لأني أرى أن الدولة اليهودية المنقوصة ليست النهاية، وإنما هي البداية. نحن نفرح عندما نمتلك ألف دونم أو عشرة آلاف من الدونمات، ولا نشعر بالإهانة لأننا بهذا ما زلنا لا نملك الأرض كلها. لأن التملك مهم ليس فقط في حد ذاته، ولكن لأننا بواسطته نزيد من قوتنا، وكل زيادة في القوة تساعدنا على حيازة وتملك باقي الأرض. إن إنشاء دولة – حتى ولو كانت منقوصة وجزئية – يعتبر أقصى ما يمكن عمله لتعزيز قوتنا في المرحلة الراهنة، وبشكل رافعة قوية لجهودنا التاريخية لتحرير كامل الأرض.

سوف نحشد في الدولة أكبر عدد ممكن من اليهود، فوفق اعتقادنا الراسخ يمكننا حشد أكثر من مليونين. سوف نبني اقتصادا يهوديا متفرعا، في الزراعة والصناعة والنقل البحري. سوف ننظم قوة دفاعية متفوقة، جيش متميز – ولا أشك في أن جيشنا سوف يكون واحدا من أكثر الجيوش تميزا في العالم، وعندها أنا متأكد بأنه ما من شيء سيمنعنا من الاستيطان في كل الأجزاء المتبقية من الأرض، إما عن طريق الاتفاق والتفاهم المتبادل مع جيراننا العرب، وإما بطرق أخرى.

علينا دائما أن نتذكر الحقائق الأساسية التي تمكننا من الاستيطان في هذه الأرض، وهي اثنتان أو ثلاث. إنها ليست الانتداب البريطاني ولا وعد بلفور، فهما عبارة عن نتائج وليسا بالأسباب، وكما هو معروف فقد وجدا بمحض الصدفة وهما زائلان. إن وجودهما لم يكن حتميا، وكان من الممكن عدم حدوثهما لو لم تكن هناك حرب عالمية، أو لو لم تنته الحرب بالشكل الذي آلت إليه لما كان لهذين الأمرين أن يحدثا. لكن هناك حقائق تاريخية ثابتة غير قابلة للتغيير ما دامت الصهيونية لا تطبق بحذافيرها، وهي:

١. ضائقة المنفى التي تدفع اليهود إلى البلاد بعزيمة لا تنفد،
٢. كون البلاد غير مأهولة بالكامل: توجد امكانيات استيطان كبيرة كامنة في البلاد، وليس للعرب أي حاجة بها، وليس لديهم مؤهلات لاستغلالها (كونهم لا يحتاجونها). كما لا توجد إشكالية هجرة عربية، فلا يوجد منفى وشتات عربي، وهم ليسوا مطاردين. فلديهم وطن، وطن واسع،
٣. مواهب اليهود الابداعية (وهي نتاج السبب الأول)، مقدرتهم على إحياء القفر، إنتاج صناعة، بناء اقتصاد، تطوير ثقافة، وعلى اعتلاء البحر والسماء بواسطة العلم والجهد الطلائعي.

إن وجود دولة يهودية على جزء من الأرض سوف يساعد ويدعم هذه الحقائق الأساسية، تماما كما أن الصهيونية تتلقى دعما ومساندة من قبل كل احتلال، صغيرا كان أم كبيرًا، من قبل كل مدرسة، ومصنع وسفينة يهودية وما شابه.

إن قدرتنا على ولوج البلاد سوف تكبر في حال وجود دولة. قوتنا أمام العرب سوف تكبر. إمكانيات البناء والتوسع سوف تزداد بسرعة كبيرة. وهكذا فكلما كبرت قوة اليهود في البلاد، أدرك العرب بأنه ليس من الصحيح أو الممكن لهم الوقوف في وجهنا، بل على العكس، أدركوا أن بإمكانهم الاستفادة بشكل كبير من اليهود، ليس فقط ماديا، وإنما سياسيا أيضا.

أنا لا أحلم بالحرب ولا أحبها. ولكني ما زلت أومن – أكثر مما كنت قبل ظهور احتمال قيام الدولة – بأننا ما أن يزداد عددنا ونقوى في البلاد حتى يفهم العرب بأنه من الأفضل لهم أن يتحالفوا معنا، وأن يستفيدوا من مساعدتنا، إذا ما وافقوا وبنية حسنة على أن نستوطن في كل أجزاء البلاد. يوجد لدى العرب الكثير من الدول، غير المأهولة بشكل كاف، وغير المتطورة أو المحصنة، وغير القادرة على مواجهة العدو الخارجي بمفردها. فمن دون فرنسا، لا يمكن لسورية الصمود ولو ليوم واحد أمام تركيا. والأمر نفسه ينطبق على العراق. وعلى الدولة الجديدة كذلك.[٣] كلهم بحاجة إلى حماية فرنسية أو انكليزية. أن هذه الحماية تعني استغلالا وتبعية. أما اليهود فيمكنهم أن يكونوا حلفاء متساوين، أصدقاء حقيقيين، وليسوا محتلين أو طغاة.

فلنفترض أن النقب لن يسلم للدولة اليهودية. سوف يبقى عندها قاحلا. فالعرب غير مؤهلين وغير محتاجين لتطويره أو لبنائه. لديهم الكثير من الصحارى – وليس لديهم ما يكفي من القوى العاملة، أو النقود، أو الأقدام. ومن الممكن جدا أنه مقابل مساعدتنا المادية والعسكرية والتنظيمية والعلمية سيوافقون على أن نطور ونبني النقب. ولكن من المحتمل أيضا ألا يوافقوا. فالشعوب لا تتصرف دائما وفق العقل والمنطق والمنفعة الفعلية. فكما تشعر أنت بتناقض بين العقل والإحساس من الممكن أن يتصرف العرب وفق إحساس قومي عقيم ويقولون لنا: لا نريد منكم شيئًا، لا خيرا ولا شرا، من

ويصل الكاتب إلى أن إسرائيل ما هي إلا دولة إثنية ليست ديمقراطية إذ تترسخ في دستورها كل الامتيازات الخاصة بالجماعة المسيطرة، وذلك عبر «عدد من القوانين الأساسية الأكثر أهمية، من ضمنها قوانين العودة والمواطنة والقانون الأساس: الكنيست (الفقرة ٧أ) التي تعرف إسرائيل بأنها دولة الشعب اليهودي، وتحصر حق الترشح للانتخابات النيابية في أولئك الذين يقبلون بكون إسرائيل دولة الشعب اليهودي» (ص١٢٠).

الأفضل أن يبقى النقب قاحلا على أن يستوطن فيه اليهود. عندها سوف نضطر للتحدث إليهم بلغة أخرى. وسوف تكون عندنا وقتها لغة أخرى – لغة ما كانت لتتوفر لولا قيام الدولة. فنحن لن نحتمل أن تبقى مساحات شاسعة فارغة وغير مأهولة في حين يمكنها أن تستوعب عشرات الآلاف من اليهود، وأن لا يعود اليهود لوطنهم فقط لأن العرب لا يريدون لنا أو لأنفسهم استغلال المكان. علينا طرد العرب وأخذ مكانهم. إن كل طموحنا قائم على فرضية – تم تأكيدها من خلال كل نشاطاتنا في البلاد – أن هناك مساحة كافية لنا وللعرب في البلاد ولكن اذا ما اضطررنا لاستخدام القوة – ليس لأجل سلب العرب النقب أو شرق الأردن، وإنما من أجل ضمان حقنا في الاستيطان فيهما – فسوف تمكننا قوتنا من ذلك.

واضح أنه عندها سيكون علينا مواجهة ليس فقط العرب في أرض إسرائيل، بل ومن الممكن بأن العرب من الدول المجاورة سوف يهبون لنجدتهم ضدنا – لكن قوتنا سوف تكون أكبر. ليس فقط لأننا سنكون أفضل تنظيما وعتادا، ولكن لأنه تقف خلفنا قوة أكبر من حيث النوعية والكمية، لنا يوجد مخزون من الملايين في الشتات. كل الجيل الشاب في بولندا، رومانيا، أميركا، ودول أخرى سوف يتدفق علينا في حال نشوب مثل هذا الصراع – والذي أصلي لأن لا يحدث إطلاقا. الدولة اليهودية لن تعتمد فقط على اليهود القاطنين بها – بل على الشعب اليهودي في العالم أجمع، على الملايين الكثر ممن يريدون ومضطرون للاستيطان في البلاد. لا توجد ملايين من العرب مضطرة أو تريد الاستيطان في فلسطين. بالتأكيد من الممكن قدوم مغامرين وعصابات عرب من سورية أو العراق أو أي دولة عربية أخرى. ولكن لا يمكن لهؤلاء مضاهاة عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الشباب اليهود، الذين يعتبرون أرض إسرائيل ليست مجرد مسالة «أحاسيس» – وإنما مسألة حياة، شخصية وقومية على السواء.

لهذا السبب فأنا أولي أهمية كبيرة لغزو البحر، ولإقامة ميناء يهودي وأسطول يهودي. إن البحر هو الجسر بين اليهود في هذا البلد وبين اليهود في الشتات، بين ملايين اليهود في العالم كله. نحن علينا تهيئة الظروف التي تمكننا عند الضرورة من إحضار عشرات الآلاف من الشباب للبلاد بواسطة سفننا، وملاحينا، كما علينا تأهيل هؤلاء الشباب لكل مهمة محتملة في البلاد، حتى وإن كانوا لا يزالون في الشتات حتى هذه اللحظة.

وأنا واثق من أن إقامة دولة يهودية حتى ولو على جزء من الأرض سوف تمكننا من تنفيذ هذا الأمر. في حال قيام دولة فسوف نسيطر على البحر الإسرائيلي، وسوف تكون لنشاطنا في البحر إنجازات عظيمة.

لذلك، لا يوجد داخلي أي شرخ أو تناقض بين العقل والأحاسيس. فكلاهما يبلغاني أن أقيم دولة يهودية، حتى وإن لم تكن على كامل الأرض، والباقي سيأتي مع الوقت، ولا بد من أن يأتي.

متى تعود الى خضوري؟

أكتب لي.

تحياتي الحارة،

اعرض هذه الرسالة على والدتك وأخواتك

والدك.

[ترجمة خاصة بـ «قضايا إسرائيلية» عن اللغة العبرية. أعدتها مها الخطيب]

الهوامش:

١. في الوكالة اليهودية (المترجمة).
٢. في إطار توصيات لجنة بيل (المترجمة).
٣. فلسطين (المترجمة)